تمهيد :

سنحاول في هذه المطبوعة تلخيص مجموعة من محاضرات، حول موضوع التيارات الفلسفية، والمقاربات العلمية ونظرا للاتساع اللامتناهي لهذا الموضوع، و استحالة الإحاطة الكاملة به ارتأينا وضع بعض المعايير لتحديد ما سنركز عليه من المحتوى، وما يتم التغاضي عنه وهي :

1-ركزنا على التيارات الفلسفية الكبرى، والأكثر شهرة حضورا وتأثيرا.

2-ركزنا على التيارات الفلسفية، والمقاربات العلمية الحديثة، والمعاصرة رغم جذورها الضاربة في القدم.

3-وضمن التيارات الفلسفية، وباعتبار أن للفلسفة مباحث (مبحث الوجود، مبحث القيم و مبحث المعرفة)

تناولنا مضامين التيارات من مبحث المعرفة والتفكير العلمي فقط.

أما كمقاربة مفاهيمية لمعنى التيارات والمذاهب، والنظريات والمقاربات فإجرائيا وظفنا المقاربات العلمية، كمفهوم أقرب إلى منظومة فكرية بأدواتها النظرية، والممارستية في تناول موضوع ما وزاوية نظر ابستمولوجية في التفكير المعرفي والبحث العلمي عن الحقيقة في حقل من الحقول المعرفية، أو علم من العلوم و ركزنا أكثر على المقاربات العلمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، باعتبارها الأقرب لتخصصنا.

أما التيارات الفلسفية فنجد نواتها الأساسية الحدس كمنطلق الفكرة المشتقة؛ أي المنطقية ولها هدف تفسيري يطلق عليه في العادة نظرية كما يطلق اسم المذهب على جملة نظريات، وحين يكون مذهب من المذاهب مشتركا تلتقي حوله عقول كثيرة يعرف باسم؛ المدرسة أو التيار الفكري بسماته الجديدة تدل بالمعنى الواسع على جملة فلاسفة يعتنقون مذهبا واحدا، أو أنهم على الأقل يشتركون في قبول نظرية فلسفية يعتبرونها صحيحة.

التيار المادي : matérialisme

مفهوم المادية:

المادية اسم يطلق على الاعتقاد بأن العالم الطبيعي المباشر هو أهم عالم (أو بصيغتها المتطرفة : العالم الوحيد) الذي يوجد ، ان المادي وفقا لذلك هو من ينكر اي اعتقاد بوجود روحي أو وجود عالم آخر، وهكذا تعارض المادية مختلف أشكال النزعة الروحية.

كما تعارض الفلسفات التي تقول بكيانات غير مادية متعلقة بعالم العقل كالفلسفة المثالية والتي تقول بأسبقية العقل عن المادة كالفلسفة العقلانية، وهذا لاعتقاد المادي أن كل الأشياء مكونة أساسا من المواد وحتى الحالات العقلية يمكن تفسيرها بالوسائل الطبيعية، وتعتبر إن المواد الأولية والعقل

(أو الوعي) ثانوي.

جذور المادية في التاريخ:

للمعتقدات المادية تاريخ طويل وغني في الفكر الغربي يعود زمنه الى المفكرين ما قبل سقراط في القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد، وفق ما يذكره أكثر الشراح، فقد وجد التعبير الناضج عنها في الأعمال اللاتينية عند ابثورس وبالذات عند سقراط الذي عرضت قصيدته الطويلة حول طبيعة الأشياء "(50 ق م) النظرية التي ترى أن العالم يتكون من أجزاء صغيرة لا تكاد ترى من جوهر المادة.

أشكال الفلسفة المادية:

من بين المدارس الفلسفية في بواكير القرن العشرين أبدت الوضعية المنطقية إخلاصا حميما للمعنى العلمي للمادية وأصرت على أن الأحكام التي يمكن التحقق منها استنادا إلى عالمي الواقعة التجريبية خاصة مع الاكتشافات الفيزيائية في القرن العشرين للجزيئات الأساسية للمادة، وتعتبر الأكثر تطرفا في النظرة المادية واعتبرت أن كلما يخرج عن عالم المادة غير معرفي.

مع ذلك يوجد أيضا تعانقا قويا بين المادية والعلمانية بين حجج لوقريطس ضد وجود النفس في القرن الأول ق . م .

وأعمال "ابيار كاسيدي" "وتوماس هوبز" في أواسط القرن السابع عشر والهيمنة البيروقراطية للفكر الغربي التي أحبطت بقوة أي اعتبار للمادية في حين منذ القرن السابع عشر (17) فصاعدا صارت التطورات في العلم من نظرية الارتقاء الى النظرية الذرية تتحدى الفكر الديني وترعى مزيدا من النقاش عن المواد التي صنعنا منها.

غير أن من أهم أشكال المادية نجد المادية الميكانيكية ومنذ أواسط القرن التاسع عشر أعلن اقتران المادية أساسا بالماركسية في الأغلب حيث تعد الماركسية دائما مرادفا للمادية التاريخية أو المادية الجدلية .

المادية الميكانيكية:

كان معتنق النظرة الميكانيكية إلى العالم يتصورون العالم مؤلفا من عدد لا متناهي من الجزيئات المادية الصغيرة غير القابلة للانقسام والتي لها صفات كمية حصرا وتتحرك في الفضاء ولا تتصادم إلا وفقا لقوانين ميكانيكية، وليس بدافع القصد او الغاية و قد برهنت هذه التصورات على فائدتها الخصبة في الميكانيك (الحركة) وجذبت بعض الفلاسفة غير أن نقل التصورات من الميكانيكا التقليدية كنظرية علمية إلى الحقل الفلسفي كنظرة ميكانيكية إلى العالم وجدت الكثير من الصعوبات الفلسفية وأهم هؤلاء الفلاسفة نذكر:

يعتبر "توماس هوبز" الفيلسوف المادي التقليدي أكثر من سواه حيث زعم أن الصفات والظواهر العقلية هي بشكل أساسي مادية ميكانيكية وكموقف متناسق يدعى ذلك بالموقف المذهب المادي الأحادي.

وحاول "ديكارت" أن يشمل الناحيتين الطبيعية وهي كما تدل التصورات الميكانيكية والمادية إلا أن الروح ليست كذلك وخلص إلى ثنائية الروح والجسد ذا طبيعتان مختلفتان ويتبادلان التأثير والتأثر ويدعى مذهب البسيكو فيزيائي وهذه معضلة منطقية.

وحاول "سبينوزا" أن يجد لمعضلة الثنائية الديكارتية حل بأن الجسد والروح متناغمان وهما مظهران للواقع نفسه فعندما أريد أن أرفع ذراعي وعندما ترتفع ذراعي فليست إرادتي هي التي أدت إلى ارتفاع ذراعي بل لان الجسم والروح يعملان بالتوازي ويدعى هذا المذهب السايكوفيزيائي.

المادية الماركسية:

كان كارل ماكس (1818–1883) كتلميذ الفلسفة المادية اليونانية التقليدية كتب أطروحته للدكتوراه على ديمقريطس ، وابيقورس ولكن كان تلميذا ايضا لهيجل كما طور صداقة عمر وأقام تعاونا وثيقا مع فريدريك انجلز (1820–1895)

وولدت الماركسية كفرع وانشق عن الهيجلية، فحشدت وولفت التيارات الفكرية الاوروبية الكبرى (الفلسفة الرومانسية الألمانية، العقلانية النقدية الفرنسية، التجريبية والنزعة الاقتصادية الإنجليزية، الايديولوجية الاشتراكية الناشئة) وقامت بترتيب نقدي جديد دمر في كل منها أساسها الأول وشكلت نظرية نقدية راديكالية ومذهبا نسقيا كليا (شامله حقلي المعرفة والسلوك برمتهما) وتضمنت بشكل مركب تكامل وتعارض التطلع الفلسفي والعلمي والأخلاقي معا، ثم تحولت إلى أيديولوجيا دون أن تنأى عن الفلسفة، ومع تشكل الأحزاب الاشتراكية فرضت نفسها في معظم هذه الأحزاب وسيطرت واتخذت شكلا مذهبيا.

المادية التاريخية والجدلية (الديالكتيكية) لماركس:

كانت المادية عند كارل ماكس ثاني شيء أكثر تخصيصا كما في الفقرة الشهيرة التالية من مقدمة نقد الاقتصاد السياسي(1859) يشترط نمط إنتاج الحياة المادية عمليات الحياة السياسية والعقلية بوجه عام، فليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم بل على العكس.

فان وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم.

اذا فماركس لم يكن "ماديا "بالمعنى المفيد "الربح المادي مثال أعلى"المادية والأخلاقية ولا بالمعنى الذي يفيد أن" كل موجود مؤلف من جزيئات مادية ويتبع قوانين ميكانيكية " كما أسلفنا الذكر في" الميكانيكية الذرية " بل يتعارض معها في فكرتين أساسيتين.

1-ماركس لم يعتبر التغير كل تغير ميكانيكيا فالتغيير الاجتماعي التاريخي ديالكتيكي.

2-ماركس لم يعتبر العالم مجرد عدد وافر من الذرات فالواقع الاجتماعي يتميز بالعلاقات.

وعندما يدعى ماركس ماديا فإن ذلك يعني قبل كل شيء" أن العوامل المادية الاقتصادية هي القوة المحركة في العملية التاريخية (المادية التاريخية)

ولقد لخص ماركس الخطوط الكبرى لتصوره المادي للتاريخ حيث يبدأ كل شيء بمسلمة يقوم المجتمع في أساسه على الحياة المادية بالعمل ينتج الإنسان نفسه في الوقت الذي ينتج فيه المجتمع أيضا، قاده نقد الهيجلية لقلب الموقع المثالي ولتأكيد التصور المادي حيث يبدو المجتمع كنوع من الأهرام تتشكل القاعدة من أساس مادي، الاقتصاد وعليها تقوم السياسة، القانون ثم الافكار، ويتكون نمط الإنتاج في المجتمع من "القوى المنتجة" (الناس، الآلات، التقنيات، ومن علاقات الإنتاج، الحرف، الأعمال الحرفية المزارعة، العمل المأجور) وعلى مر التاريخ توالد انماط الانتاج القديم الآسيوي الإقطاعي والبرجوازي وبالوصول إلى درجة معينة من النمو والتطور تدخل القوى المنتجة في صراع مع علاقات الإنتاج (الصراع الطبقي) وحينئذ يبدأ عصر الثورة الاجتماعية.

هكذا كان للماركسية أثرها الحاسم على الفكر في القرن العشرين ثم انحسارها في القرن 21، حيث أثرت على الفكر السياسي وعلى العمل السياسي (تاريخ الشيوعية) وفي حقل العلوم الإنسانية كتاريخ الفلسفة وعلم الاجتماع والاقتصاد السياسي وحتى علم النفس من خلال التيار الفرويدي الماركسي الذي بلغ مجده في الستينيات.